

التصورات الاجتماعية للطالبة الأدرارية: التعليم الجامعي، العمل، الرابط الاجتماعي

Social perceptions of Adrarian female student: education, work, social relation

سعدى نوال

المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (الجزائر)، sanawel2013@gmail.com

تاريخ النشر: 2023-05-05

تاريخ القبول: 2023-04-14

تاريخ الاستلام: 2023-01-29

ملخص:

تعيش الطالبة الجامعية الأدرارية، ضمن النموذج الثقافي التقليدي الذي كونت من خلاله بعض التصورات الاجتماعية لمجتمع يُعرّف بعباداته وتقاليده المحلية وخصوصياته، نهدف من عملنا معرفة دور الفتاة الأدرارية في تعزيز مكانتها المجتمعية، حيث تساءلنا ضمن إشكاليتنا عن تصورات هذه الطالبة أمام تحديات عدة كالحصول على عمل ضمن المعطيات السوسيو-اقتصادية، ومواجهة مجتمع لا يزال متحفظا عن عمل المرأة. اعتمدنا المنهج الكيفي لخصوصية النموذج التقليدي الذي يستدعي المقابلة نصف الموجهة متبعين بذلك العينة العشوائية البسيطة التي فرضتها طبيعة الموضوع حيث أجرينا المقابلات مع عشر مبحوثات، فثبت أن الطالبة الأدرارية لها من الإرادة ما يكفي لمواجهة قيود النموذج التقليدي في الالتحاق بالتعليم الجامعي والرغبة في العمل إلى جانب تمكّنها من الاختيار الزواجي في أحيان كثيرة، لكن كلها ضمن قنوات لا تمس بالنموذج التقليدي، مما خلق نموذج تقليدي بصيغة مرنة، من جهة يحافظ على منظومته القيمية بكل معطياتها ومن جهة أخرى يفسح المجال لهذه الطالبة لتحقيق ذاتها خاصة مع الأوضاع التي يعيشها المجتمع حاليا.

كلمات مفتاحية: الطالبة الأدرارية؛ التعليم الجامعي؛ التصورات الاجتماعية؛ التغير الثقافي؛ الهوية الانثوية.

Abstract :

The Adrarian student who lives in a traditional cultural model through which she has formed certain social perceptions of a society known for its local customs, traditions and particularities. We aim in our work to know the role of the Adriarian girl in the improvement of her social status in a society that is still reluctant to work for women. We adopted the qualitative approach which uses a semi-directive interview, following the simple random sampling imposed by the nature of the subject, where we conducted interviews with ten respondents. It has been proven that the Adrarian student has enough willpower to face the limits of the traditional model through her enrollment in university and the desire to work, in addition to being able to choose marriage in many cases, but all are in the channels that do not affect the traditional model.

Keywords: Adrarian female student; University education; Social perceptions; cultural change; Female identity.

مقدمة:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى دراسة مسألة تصورات الطالبة الجامعية الأدراية حول المسائل المتعلقة بالجانب المهني والاجتماعي والثقافي للتعرف على مكانتها ودورها في الإطار الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، بهدف إثبات ذاتها ضمن المنظومة القيمية التقليدية للمجتمع الصحراوي التي تعتمد في التنشئة الاجتماعية على عرف المجتمع وعاداته وتقاليده وتعتمدها كمرجع جوهري في أخذ القرارات المرتبطة بالمجتمع وثقافته، والخروج عنها يعني الوقوع تحت طائلة العقاب الاجتماعي بدرجات متفاوتة حسب مستوى الخروج عن المنظومة القيمية بدء بالنبذ الاجتماعي الذي قد يصل إلى البتر من المجتمع (إميل دوركهايم)¹، وتبرز أبعاد هذا النموذج من خلال ما عملنا عليه ضمن المتغيرات التابعة في هذا المقال حيث يبرز البعد القانوني والاجتماعي من خلال حقي التعليم والعمل واللذان ينص عليهما المشرع الجزائري في الدستور الجزائري كحقين من حقوق أي مواطن، ذكرنا كان أم أنثى دون التمييز بينهما على أساس النوع (الجنس) في إطار فصل الحقوق والواجبات، هنا يظهر البعد الاجتماعي من خلال تمكين طالبة الجنوب الجزائري وتحديدًا في مجتمع البحث أدار من التعليم والعمل، لكن لا يتقبل مجتمع البحث تعليم الفتاة (الأنثى) خاصة مرحلة التعليم العالي، كما يرفض خروجها للعمل. أما الرابط الاجتماعي فهو ما يعبر عن البعد القيمي لمجتمع البحث والذي يستند فيه لعرف المجتمع وعاداته وتقاليده، حيث يتسم مجتمع البحث بالمحافظة والانغلاق خاصة فيما يخص خروج المرأة للتعليم والعمل إلى جانب رفض الزواج الخارجي وتقنين الاختيار الزواجي الذي لا يرجع للمرأة بل يحدده الرجل سواء والدها أو أحد أقاربها، إلى جانب رفض إشراكها في اتخاذ قرارات هامة تخص الأسرة أو إبداء رأيها بخصوص ذلك، هذين البعدين تم اعتمادهما انطلاقًا من النموذج التقليدي المذكور وتم اختبارهما من خلال دراستنا الميدانية وتم اثباتهما نسبيًا.

1. إشكالية البحث:

مثلت مواضيع النماذج النسوية الصحراوية مجالًا خصبا للباحثين والدراسات الأكاديمية باعتبارها موضوعا راهنيا لما له من أهمية في تفسير معطيات المجتمع، خاصة ما تعلق منها بالنموذج

¹ Pour plus de détails, voir : Durkheim, Emile. (1967). *Les règles de la méthode sociologique*. Ed. P.U.F, Paris.

التقليدي في المجتمعات التقليدية المحافظة وأثره على المرأة، باعتباره مشبع بقيم ومعايير وعرف الجماعة، وهذا ما عبرت عنه دراسة الباحثين "سمية إبليلة" و"فتيحة حمودي" الموسومة بـ: "صورة المرأة الصحراوية في رواية وادي حناء لجميلة الطلباوي" الصادرة بتاريخ 2018، حيث تناولتا ضمنها هذا الموضوع مركبتين بذلك على فكرة خضوع المرأة للمنظومة القيمية التقليدية التي تُفرضُ عليها بموجب عادات وتقاليد وعرف المجتمع وكل ما يضمنه المخيال الاجتماعي لإقليم توات بأردار، مما يعكس سمات هذا النموذج التقليدي على طبيعة معيشتها ومدى التزامها بواجباتها وتمتعها في مقابل ذلك بحقوقها، وقد ابرزت الباحثتان فكرة محاولات تحرر المرأة من قيود العادات والتقاليد، حيث وضحتا نمط جديد تعيشه الطالبة الإدارية والذي يزاوج بين صورة المرأة الريفية البسيطة والمرأة الحضرية التي تعمل على الخروج للتعليم بكل مراحلها وتهدف بذلك للالتحاق بالعمل خارج المنزل وتحقيق مكانتها الاجتماعية من خلال شغلها لمجموعة أدوار اجتماعية بما في ذلك اختيار زوجها وتكوين أسرة تقف على تسييرها إلى جانب زوجها وبذلك تكون قد حققت ذاتها بتعميق إحساسها بمكانتها كامرأة متعلمة وعاملة وربة بيت. والجدير بالذكر أننا اعتمدنا هذه الدراسة كقاعدة نظرية انطلقنا منها في بنائها النظري وتشاركناها جل معطياتها حيث لم نخالفها إلا في كوننا توصلنا من خلال الدراسة الميدانية لما يخالفها نسبيا بالنسبة لمعطى هام جدا متعلق بتسلط النموذج التقليدي. أما الباحثة "سميرة مناد" فقد قدمت هي الأخرى دراسة في نفس الإطار عنونها بـ: "صورة المرأة الجزائرية في المخيال الاجتماعي" الصادرة بتاريخ 2013، والتي كشفت من خلالها الكيفية التي تمكن المرأة من تجاوز إعادة إنتاج الموقع الهامشي لها في صور جديدة، فخلصت إلى أن وضعية المرأة التي تؤكد في معظمها على السلطة الأبوية التي توارثتها عبر سيرة التاريخ في ظل مكتسبات التصور الثقافي التقليدي المُعاش، كما وضحت الدراسة دور المرأة في إثبات شخصيتها ومكانتها من خلال إسقاطها على المرأة في المجتمع "التارقي" الذي تحوز فيه على مكانة راقية واحترام كبير، وهذا ما نتوافق معه من خلال دراستنا من خلال بعض المؤشرات التي سنوضحها لاحقا. لكن تبقى قدرتها رهينة الصراع بين ما يفرضه هذا النموذج وما يمكنها تقديمه فعلا ضمن إكراهات وممارسات متعبة ومجحفة في حالة الخروج عن النموذج المذكور.

من هنا يتضح أن للمرأة الصحراوية دورا مهما داخل النموذج الثقافي التقليدي، فالصورة التي تكتسبها المرأة في منظومة القيم الثقافية والاجتماعية للمجتمع الصحراوي جعلها تركز على النموذج السلطوي الذكوري بحكم تنشئتها الاجتماعية التي ركزت على السلطة الأبوية في مقابل

النموذج الحديث من خلال رغبتها في الارتقاء من منظور العصرية والتحضر ضمن الوصاية الأخلاقية والذكورية السائدة. واستنادا إلى جملة المعايير الأخلاقية والثقافية والاجتماعية التي يحددها المجتمع الصحراوي، بقيت صورة المرأة ركيزة أساسية لتطوير المجتمع أيا كان، وهي في عطاء مستمر منذ وجودها بالرغم من تعدد واجباتها.

توضح تصورات الطالبة الأدراية صورة الفتاة الأصيلة المحافظة، لكن هذا لم يلغ رغبتها وطموحها في إثبات مكانتها وتحقيق ذاتها كعضو فعال في المجتمع انطلاقا من التحصيل العلمي الذي يسمح لها باكتساب الوعي النفسي والثقافي في تغيير أنماط حياتها الشخصية والاجتماعية. ويعد التصور المهني من أبرز انشغالات الفتاة الجامعية الأدراية باعتباره حجر الزاوية الذي تُبنى على أساسه سلسلة التحديات والطموحات المستقبلية. وهذا باعتبار عمل المرأة دافعا للنهوض النفسي والاجتماعي، وميزان الحياة العامة ووسيلة لتحقيق المكانة الاجتماعية لها. حيث يُشكل تصورها الاجتماعي تحديا آخر يواجه الطالبة الجامعية الأدراية في إطار السعي لتحقيق التوافق بين أدوارها الاجتماعية المختلفة، كونها تعد الإبنة والأخت والأم والزوجة الكفيلة بتربية الأولاد إلى جانب كونها الطالبة الطموحة والعاملة. تسعى الطالبة الأدراية في إطار هذه الثنائية الى تحقيق توازن بين طرفيها رغبة في الوصول الى أهدافها.

هذا ما دفعنا للتساؤل ضمن السؤال المركزي لإشكالية دراستنا كما يلي:

ماهي تصورات الطالبة الأدراية لمصيرها العلمي والعملية وعلاقتها الاجتماعية ضمن مجتمعها التقليدي؟

2. فرضيات البحث :

إن الإجابة على إشكالية مقالنا العلمي اعتمدنا ثلاث فرضيات نختبر من خلالها المتغيرات التابعة الثلاث المعتمدة في الموضوع محل الدراسة والتي صغناها على النحو التالي:

- أولا/ الطالبة الأدراية تعمل على مواصلة تعليمها الجامعي رافضة للقيم التقليدية والمحافظة في مجتمعها.

- ثانيا/ تتصور الطالبة الإدارية خروجها للعمل أمر مصيري رغم رفض مجتمعها له.
- ثالثا/ تخرج الطالبة الإدارية عن قيم المجتمع فيما يتعلق بالعلاقات الاجتماعية خاصة الاختيار الزوجي.

3. الأهداف البحثية :

- نهدف في مقالنا العلمي إلى معرفة تمثلات وتصورات الطالبة الجامعية الإدارية لإمكانية استكمال تعليمها الجامعي والالتحاق بوظيفة إلى جانب حقها في اختيار زوجها ورفض من لا ترغبه زوجا ومدى تمكنها من ذلك في ظل مجتمعها التقليدي المحافظ الذي يرفض كل ذلك بحكم العرف والمعايير الاجتماعية السائدة فيه.
- إعطاء صورة للفتاة الصحراوية وقد اخترنا الإدارية كنموذج، من خلال إبراز وضعيتها الاجتماعية وفق العادات والتقاليد المكتسبة في مجتمعها.
- الكشف عن الهوية الثقافية للفتاة الجامعية الإدارية من خلال تحليل مكانتها الاجتماعية في وسطها الذي يعرف السيطرة التقليدية.

4. مفاهيم الدراسة:

1.4 مفهوم التعليم الجامعي:

يقصد بالتعليم الجامعي، التعليم الذي يتم داخل كليات أو معاهد جامعية بعد الحصول على الشهادة الثانوية، وتختلف مدة الدراسة في هذه المؤسسات من سنتين إلى أربع سنوات، وهو آخر مرحلة من مراحل التعليم النظامي. كما أنه "المسار التكويني الذي يتيح إمكانية مواصلة التكوين في مستويات أعلى ودخول الطلبة إلى عالم سوق العمل. (مجادبة، 2017، ص.300)

2.4 مفهوم العمل:

يقصد العمل هو الطاقة أو الجهد الحركي أو الفكري الذي يبذله الإنسان من أجل تحصيل أو إنتاج ما يؤدي إلى إشباع حاجة معينة من حاجاته الطبيعية من السلع والخدمات التي يساهم

الجهد البشري أيضا في إيجادها. وهذا الإنتاج قد يكون سلعة، كما قد يكون خدمة. كما يعد "العمل نشاط واع هادف يحقق ويضمن استمرار النوع الانساني. (قشار، 2017، ص.1145)

كما يكتسي العمل عدة أبعاد منها البعد الاجتماعي الذي يعطي للفرد مكانة اجتماعية وبعد اقتصادي يسمح للإنسان من الحصول على مصدر رزق وكسب قوته اليومي، وبعد نفسي من خلال شعور بتحقيق الذات.

3.4. مفهوم الرابط الاجتماعي:

يشير إلى مختلف أنماط العلاقات الاجتماعية التي تجمع بين الأفراد الذين ينتمون إلى جماعة اجتماعية معينة. وتختلف طبيعة الرابط الاجتماعي من فضاء اجتماعي إلى آخر (الريف – المدينة) كما يتميز بنوع من التجانس والتمايز الاجتماعي مما يخلق ثقافة معينة.

يرتكز الرابط الاجتماعي حسب مصباح عامر (2005) على أربعة مقومات أساسية وهي طبيعة النسب الأبوي، اختلاف الجنس واختلاف الأجيال والنقل الثقافي. (ص.152)

4.4. مفهوم الموروث الثقافي:

يعد "الحصيلة الفكرية والاجتماعية و المادية لأسلافنا الذي يشمل على كل ما خلقه الانسان من شواهد روحية أو مادية في تراثه الفكري و رقيه الانساني. (هنشيري، 2017، ص.98)

كما يقصد الموروث الثقافي تلك الأشكال والعناصر الثقافية المادية والفكرية والاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع في وقت ما.

5. أدبيات البحث:

إلى جانب ما ذكرنا في الإطار النظري لمقالنا حول دراسة الباحثين "سمية إبليلة" و"فتيحة حمودي" وكذا الدراسة الأكاديمية للباحثة "سميرة مناد" حول وضعية المرأة في المجتمعات التقليدية وتأثير طبيعة هذه المجتمعات على اختياراتها، اعتمدنا أيضا ما قدمته الباحثة "نورية بن غبريط" تشاركا مع مجموعة باحثين في دراستها الموسومة بـ "وضعية المرأة في منطقة شريون بولاية أدرار" الصادرة بتاريخ 2010 والتي أجرتها ميدانيا بمجتمع البحث المذكور، حيث هدفت الدراسة إلى

تحليل ومعرفة وضعية النساء والفتيات في منطقة شروين، وقد توصلت لمجموعة نتائج أبرزها موضوع إشراك النساء والشباب في عملية التنمية الذي يُعدّ في شروين أمر غامض، انطلاقاً من وضعية النساء وفق باعتبارهن يواجهن جملة من العقبات: على مستوى المسألة الصحية أين تغيب العناية الصحية بالمرأة، بالنسبة لمسألة التشغيل نجد أن ما تعانيه المرأة الصحراوية لا يقل عما يعانيه الرجل الصحراوي جراء آثار البطالة وانعدام فرص الشغل مما جعلها تحدث تغييرات جزئية وتستحدث قنوات عمل خارج سوق العمل، تحديداً عملها في المجال الزراعي وفتح جسور التسويق بكل ما تحمله من صعوبات في المجتمع الصحراوي لمنتجاتها الزراعية لسد حاجياتها المعيشية، أما من حيث إدراكاتها الاجتماعية تشهد وضعية المرأة تحسناً في صورتها بفضل ارتفاع معدلات التعليم ووعي البعض منهن. ما يمكن تحصيله من هذه الدراسة أن مشكلة إدماج النساء في قرية "شروين" هو في الحقيقة مشكلة الاعتراف بوجودهن في المجال الاقتصادي والاجتماعي، وهذا ما توافق مع مقالنا العلمي حيث اعتمدناه في بناء إطارنا النظري والتزول لميدان الدراسة، كما توافقنا مع هذه الدراسة في أحد نتائج مقالنا المتمثلة في كون سوق العمل وسياسات التشغيل تعد هي الأخرى عائقا أمام الطالبة الإدارية في خروجها للعمل بعيداً عما تفرضه المنظومة القيمية لمجتمعها وأيضاً ما ترفضه، وقد تفردنا عن هذه الدراسة بالتساؤل عن علاقة المنظومة القيمية للمجتمع التقليدي بمدى حرية هذه الطالبة في الاختيار الزوجي وهل تستطيع فعلاً رفض من لا ترغبه زوجاً في ظل عرف هذا المجتمع، أما الباحث "مولاي محمد" وهو ابن منطقة أدرار واحد الباحثين ضمن أطرها التاريخية والاجتماعية والثقافية، فقد قدم دراسته الأكاديمية الموسومة بـ "ظاهرة التحضر في القصور وتأثيرها على شكل العلاقات الاجتماعية" دراسة ميدانية لقصر أظوى ببلدية زاوية كنته أدرار" الصادرة بتاريخ 2019، حيث استعرض مجموع خصوصيات مجتمع البحث وصولاً لظاهرة التحضر في المجتمع القصورى والتساؤل عن فعالية تحضره باعتباره لا يزال من مجتمعاً تقليدياً محافظاً على قيمه التقليدية ومعاييره وأعرافه وما يتضمنه من عادات وتقاليد نابعة من خصوصية البيئة الصحراوية، محلاً بذلك أهم الانعكاسات المترتبة على هذا المجتمع من جراء عملية التحضر، في إطار نسقي واجتماعي متوصلاً في دراسته إلى مجموعة من النتائج بدء بمعرفة نمط الحياة الحضرية والنسيج الحضري للنمط المعماري الذي انتشر على حساب التساكن في القصور بشكل واسع بعدما أصبح يشمل نسبة كبيرة من السكان، توسع خصائصها العمرانية وانفتاحها على العالم الخارجي، مما أفرز أنماط جديدة للعلاقات والروابط الاجتماعية بشأن الشباب والأسر

والزواج، نتيجة لتلك التحولات والتغيرات التي مست المجتمع القصورى، كذلك تحول شبكة العلاقات من تقليدية إلى شبه عصرية نسبيا مع احتفاظ بعض أشكال العلاقات الاجتماعية بجزء من تقاليدها القديمة، واستمرار القيم التقليدية في مجتمع البحث بالتوازي مع افرازات المرحلة الجديدة.

اعتمد الباحث في دراسته النموذج التقليدي في مقابل افرازات النموذج الحديث ومدى تأثيره - أي النموذج التقليدي- ومستوى استمراره في مقابل ما هو حديث وما تفرضه متطلبات المرحلة، وقد اعتمدنا أيضا نفس النموذج في مناقشة وتحليل معطيات مقالنا كما توافقنا مع الباحث في كون المرحلة الحالية لها تأثير على مدى استمرار النموذج التقليدي بكل خصوصياته وصموده أمام افرازات وتغيرات المجتمع باعتباره شهد حاليا نوعا من المرونة ولم تبقى قواعده وأعرافه حتى اليوم بنفس درجة الالزامية، لكن كانت لنا إضافات ونتائج مختلفة عما قدمه خاصة بالنسبة لما استطاعت الطالبة الأدراية اليوم تحقيقه برفضها لبعض قيم هذا النموذج وتمكنها من الخروج عنها خاصة لما يمر به المجتمع الأدراي خصوصا والمجتمع الجزائري عموما من صعوبات في المعيشة مما أعطى للمرأة والطالبة الأدراية الحق في التعليم الجامعي للحصول على شهادة علمية تخول لها الالتحاق بوظيفة كما يخول لها المستوى العلمي الارتقاء بمستواها الفكري ووعيتها مما فتح لها مجال الاختيار الزواجي وحتى الزواج الخراجي.

6. منهجية البحث:

من أجل دراسة إشكالية موضوع الدراسة وتحليل أبعادها اعتمدنا على المنهج الكيفي بغية استيعاب الإطار النظري للموضوع وفهم عناصره من منطلق البيانات الكيفية (من منظور اجتماعي) التي نحصل عليها من واقع البحث الميداني وفق مؤشرات إجرائية هادفة لدراسة التصورات الاجتماعية للطالبة الأدراية نموذجا.

1.6. المجال المكاني والزمني للدراسة:

يندرج هذا العمل ضمن بحث قام به مجموعة من الباحثين من المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية في إطار قسم أنثروبولوجيا التربية وأنظمة التكوين، خلال الفترة الممتدة ما بين 2014-2017 تحت عنوان "مقاربات حول العلاقة بالعمل في الجزائر اليوم

"دراسة أنثروبولوجية". وقد أنجزنا تحقيقا ميدانيا حول موضوع الشباب بولاية أدرار والانشغالات الحياتية لهذه الشريحة ورؤيتهم للمستقبل بمدينة أدرار "اختيار الفتاة الإدارية نموذجا". وانطلاقا من النتائج المحصل عليها، قمنا بإنجاز هذه الورقة البحثية نقاشا وتحليلا.

2.6. أدوات الدراسة :

اعتمدت الباحثة لإجراء الدراسة الميدانية على تقنية الملاحظة المباشرة من خلال ملاحظة الطبيعة الجغرافية لموقع الجامعة، طبيعة نشاط الطلبة وتحركاتهم، المنطقة العمرانية للقصور بالإضافة إلى تقنية المقابلة النصف موجهة والتي سمحت لنا بجمع المعلومات المطلوبة وفق مجموعة من الأسئلة الإجرائية التي تصب في موضوع الدراسة.

3.6. مجتمع الدراسة:

أجرينا دراستنا الميدانية بمنطقة أدرار كمجتمع لبحثنا حيث خصصنا الطالبة الجامعية الإدارية التي تدرس بالجامعة الإفريقية" تحديدا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية كمجال جغرافي للعينة المدروسة، حيث اشتملت عينة الدراسة على 10 طالبات واعتمدت العينة العشوائية البسيطة حيث لم أخصص تخصصات بذاتها بل أخذت من مختلف التخصصات، والاقتصار على هذا العدد يعود سببه إلى قصر مدة الدراسة الميدانية باعتبارنا تواجدنا بالمنطقة لإجراء التحقيق الميداني. فكان هدفنا المحوري من هذه الدراسة الميدانية هو محاولة رصد تصورات وتمثلات الطالبة الإدارية لواقعها المعيش من خلال معرفة تصورها وتوجهاتها حول استكمالها لمرحلة التعليم الجامعي، التحاقها بالعمل، قيمة ومعنى الموروث الثقافي لديها، الرابط الاجتماعي وما تعلق ضمنه بالاختيار الزوجي ومدى حريتها في رفض أو قبول زوج من طرف عائلتها.

4.6. طبيعة إجراء المقابلات وكيفية تحليلها:

تمت المقابلات الميدانية على عينة عشوائية من الطالبات الجامعيات، وكان طابع إجراء المقابلة بطريقة حوارية مع المبحوثات، حيث تم التواصل معهن بعد خروجهن من المحاضرة أو الأعمال الموجهة، استغرقت مدة المقابلة من الساعة إلى الساعتين بصفة متقطعة حسب ظروف كل مبحوثة.

كمرحلة أولية تمت مجريات البحث من خلال التعريف بالباحث وبموضوع الدراسة بطريقة تجعل المبحوثات في ارتياح نفسي مبدئي، بعد عملية التعريف والإقناع الأولى، تم الشروع بطريقة ودية بطرح الأسئلة على المبحوثات. بعدها تأتي مرحلة تدوين ونسخ المقابلات الميدانية (transcription)، وتحليل المعطيات ذات الطابع الكيفي بتحويلها إلى محاور إجرائية تتماشى مع إشكالية البحث.

تم تقسيم دليل المقابلة إلى البيانات السوسيو- مهنية للمبحوثات من ناحية السن، المستوى التعليمي، التخصص، الصفة التعليمية، الحالة العائلية، الأصل الاجتماعي ومكان الإقامة. أما على مستوى المحاور فقد تم تسليط الضوء على مجموعة من المؤشرات الهامة لرسم الأبعاد الأساسية التي يُبنى على أساسها دليل المقابلة، المقتصر على 22 سؤال نصف موجه.

• تضمن المحور الأول على 07 أسئلة موضحة تصور الطالبة لحقها في التعليم واستراتيجية البحث عن فرص العمل والإدماج المهني الممكنة والمتاحة إلى جانب نظرتها لمكانتها الاجتماعية في الوسط الصحراوي من خلال إسقاطنا للنموذج الثقافي التقليدي للمجتمع الأدراري،

• تضمن المحور الثاني 08 أسئلة تفسر الهوية الثقافية المحلية للمجتمع الأدراري من خلال تحليلنا للمكتسبات الخاصة بالعادات والتقاليد بين الماضي والحاضر،

• المحور الثالث تضمن 07 أسئلة حول تمثلاتها المستقبلية من خلال تحليل تصوراتها حول مستقبلها المتعلق بمشروع الحياة والحق في البناء الاجتماعي (اختيار الزوج).

5.6. الخصائص البيوغرافية للعينة:

اشتملت عينة البحث المتضمنة عشرة (10) طالبات من مختلف التخصصات العلمية منهن طالبات السنة الأولى والثانية والثالثة ل.م.د. (ليسانس، ماستر، دكتوراه) وأولى ماستر، الحاملات لتخصصات في الإعلام والاتصال، الفرنسية، علم اجتماع العائلة والطفولة، أدب عربي، دراسات لغوية قسم أدب. وقد تراوحت أعمارهن ما بين [20-25] سنة ذات الصلة الجامعية ما بين إقامة داخلية وخارجية (تميمون، قصر لدول، زاوية كنتة، أدرار الولاية)، أصولهم الاجتماعية من

الصحراء الأب متقاعد أو حرفي والأم مأكثة بالبيت، كلهن عازبات باستثناء طالبة واحدة متزوجة بدون أولاد .

7. مناقشة نتائج البحث:

1.7. التعليم الجامعي، بين تحقيق الذات والعادات المحلية:

يعكس طموح الطالبة الإدارية في استكمال تعليمها الجامعي حاجة داخلية ويعبر عن رغبتها وهدفها للمرور لحياة تعبر فيها عن ذاتها ووعمها وتتشارك فيها القرارات والأفكار وتتجاوز من خلالها قيود المجتمع المحافظ التقليدي. كما تمثل الشهادة الجامعية بعدم الاكتفاء بشهادة الليسانس (ماستر فما فوق) رصيدها المعرفي وجواز سفرها لدخول فضاء الشغل بالنسبة للبعض منهم، أما البعض الآخر فيعتبرن التكوين الجامعي رأس مال ثقافي يساهم في التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة وتحسين العملية التربوية، حيث لا تعبر الشهادة الجامعية بالنسبة لهذه الفئة وسيلة للإلتحاق بالوظيفة بقدر ماهي وسيلة لتحقيق الانسجام والتوافق في الحياة الاسرية خاصة بوجود ذلك الشرح بين الشهادة الجامعية ومتطلبات سوق العمل "فالتأثرات السلبية للعلاقة المضطربة بين التكوين والتشغيل في الظهور لدى أوساط الشباب الذي يعاني من التزايد المتواصل للبطالة نظرا للتغير القائم في المنطق الجديد لسياسة التشغيل" (دراس، 2021، ص.62) أدى على حدوث فجوة بين مخرجات الجامعة الجزائرية وسوق العمل وهذا ما وضحته لنا البيانات الكمية للديوان الوطني للإحصاء حسب النشاط الاقتصادي للتشغيل والبطالة المسجلة لصالح الفئة النسوية بـ 20.4% وهي أعلى نسبة بطالة مقابل الذكور 9.1% والمحصورة في الفئة العمرية أقل من 20 سنة بينما في ما يخص الإناث فهي محصورة في الفئة العمرية بين 20-24 سنة. (O.N.S, 2019, p.03)

أغلب المبحوثات أشرن إلى أن هناك بعض العقبات التي تمنع تحقيق طموحاتهن الجامعية بالشكل المأمول في مقدمتها نقص ضعف إدماج النساء في سوق العمل مما اضطرهن إلى مقايضة البطالة بعمل هش/غير رسمي، ضعف التكوين في اكتساب اللغات الأجنبية خاصة اللغة الفرنسية، حيث صرحت غالبية المبحوثات بما يلي:

"أصبحت الفتاة اليوم من جيلنا تتجه إلى تخصص تعلم اللغة الفرنسية لإشباع طموح شخصي، وكوننا لم نتلق تعليم كاف في هذا التخصص شكل بالنسبة لنا عقدة نفسية حاولنا

تجاوزها في مرحلة التعليم الجامعي، أيضا تعلم اللغة الفرنسية يرفع من قيمتنا الشخصية في المجتمع المحلي

من خلال هذا التصريح نلاحظ أن الطالبة الأدراية أصبحت تتجه لدراسة تخصصات شكلت لها في الماضي عقدة نفسية يجب تخطيها من خلال تحريك الدافع النفسي لبلوغ هدفها، بالإضافة إلى أن المجتمع التقليدي المغلق أصبح يعطي قيمة للشخص الذي يتحدث لغة غير لغته، باعتبار أن المرأة تستطيع تربية جيل متفتح عن لغاته.

وتبقى العادات والسلطة الأبوية هي المسيطرة في المجتمع الأدراي وهذا ما لاحظناه من خلال منع الطالبة من التوجه للدراسة بمنطقة الشمال-حسب تصريح البعض منهم- بسبب انتشار فكرة أن الفتاة المتواجدة في الشمال لا تخضع لرقابة أبوية مما يعني أن الفتاة المنحدرة من جنوب الجزائر عند احتكاكها بفتيات الشمال ستفسد أخلاقها، ذاك ما أكدته معظم المبحوثات، إذ في تصريح البعض منهم يقلن:

"نحن لا نستطيع مزاوله الدراسة في الجامعات المتواجدة في الشمال نظرا لمنعنا من قبل أولياء أمورنا (الأب، الأخ)، ويرجع السبب في ذلك كون الفتاة التلية (الشمال) في رأيهم غير ملتزمة"

نلاحظ من تصريح البعض منهم ترسيخ القيم والعادات التي رسمتها لها السلطة الابوية في تنشئتها الاجتماعية. بالإضافة إلى العوائق المذكورة أعلاه نجد أمورا مست الهئية البيداغوجية من خلال نقص في التأطير الجامعي وقلة الأساتذة المتخصصين واستخدام الوسائل الحديثة (الأنترنت مثلا) وقلة معاهد التكوين المتخصصة لزيادة المهارات وتلقي التكوين في التخصصات المهنية في أوقات الفراغ، حيث لا تجد الفتاة الأدراية خاصة الجامعية مكان لمزاوله النشاطات والهوايات في أوقات الفراغ كالعطل الدراسية فقط في حالات الاستثناء المتمثلة في الحفلات الدينية (عيد المولد النبوي مثلا) بتيميمون، والاحتفالات بالأعياد الوطنية من خلال تنظيم نشاطات تبرز الحرف التقليدية التي تميز المنطقة.

2.7. تصور الطالبة الجامعية الإدارية لمفهوم العمل ضمن مجتمعها التقليدي:

يعتبر العمل حق مشروع لكل فرد تتوفر فيه شروط تأدية المهام المنوطة به من بينها توفر سن العمل، العقل، القدرة على الأداء، وهو ما نجده عند فئة كبيرة من الشباب الجزائري التي تمثل الفئة الأكثر حيوية ونشاط من مجموع المجتمع، فالنظرة السوسيولوجية المفسرة لسوق العمل تؤكد على الأهمية الجوهرية للعمل كنسق اقتصادي وجزء من الكيان الاجتماعي "هذه السياسة الاقتصادية تعطي دورا محررا للسوق وتقود الفرد للعمل لصالح المجتمع" (قاسمي، مشري، 2021، ص.92) ولما كان حق العمل مضمون لكلا الجنسين حاولنا التساؤل عن مفهومه لدى الطالبة الجامعية بولاية أدرار وهل لها الحق الكامل في الحصول على وظيفة تتيح لها فرصة الشعور بالاستقلالية المادية ؟ من جهة، وتجعلها فردا فعالا في مجتمع محافظ يرفض عمل المرأة، لكن نظرا لمختلف المقابلات التي أجريناها مع عشرة طالبات من مختلف التخصصات أكد أن الحصول على وظيفة بولاية أدرار ودوائرها أصبح أمرا صعبا، والبطالة مرتفعة نظرا لشح سوق العمل من جهة، وتوظيف القوة العاملة أكثر للرجال «الهيمنة الذكورية» (بورديو، 2009، ص.41) وغير القاطنين بالمنطقة، باعتبار أن المنطقة لا تزال تحافظ على الطابع الذكوري وأن الفتاة بصفة عامة مخلوقة لوظيفة واحدة وهي أن تكون ربة بيت: زوجة، أم، بنت، أخت، تنصاع لأوامر الرجل ناهيك عن الظروف المناخية والجغرافية التي عقدت مهمة تشغيل الطالبة الجامعية الإدارية، فأصبح مفهوم العمل لديها ينحصر في مجالات محدودة فقط كالتعليم من أجل الحصول على ثقافة تساعد في تكوين أسرة في حال ما تزوجت، أو واصلت دراستها العليا كالتسجيل في الماجستير لأنه لا يوجد بديل آخر نظرا لنقص المرافق (دور الشباب) التي تعنى بتعليم الفتاة حرفة معينة، أو التوجه إلى الوكالة الوطنية لتشغيل الشباب لإيداع ملفات طلب فرصة عمل (الإدماج).

فالتالبة الجامعية بهذه الولاية تعاني من جوانب تجعل من حياتها صعبة وفي مقدمتها إيجاد فرصة عمل، وإن أتيحت لها الفرصة ستجد المجتمع الذكوري المحيط بها يقف ضدها بالمنع من الخروج إلى العمل بحجة أن المجتمع يتسم بالمحافظة، ويلزم الفتاة إما بالزواج أو المكوث في البيت، وفي هذا الإطار صرحت المبحوثة مريم (25 سنة، عزباء، جامعة أدرار، تخصص أدب عربي، مسجلة في الماجستير) قائلة:

"هنا يا أختي الفتاة سواء كانت جامعية أم لا مقهورة على جميع الأصعدة لا تستطيع مزاوله أي نشاط، الذي ترينه وتسمعيه عن إدماج الفتاة الصحراوية في الحياة الاجتماعية والمهنية ليس صحيح، الواقع مغاير تماما لذلك نحن ندرس (نقراو) فقط من أجل تثقيف أنفسنا لا غير"

نلاحظ من خلال هذا التصريح أن مفهوم العمل عند الطالبات الجامعيات بولاية أدرار يشترط بالعديد من الأمور منها التغلب على الطابع الذكوري التقليدي المسيطر على المنطقة، واكتساب الشهادة الجامعية العليا لفتح الحظوظ للعمل، وقوة الشخصية لدى الفتاة... الخ، وبالتالي تبقى رغبة الفتاة الحثيثة في المجتمع الحديث في ولوج سوق العمل تقف وراءها مبررات وجودية تتعلق برغبة المرأة في الوصول إلى نوع من المساواة مع الرجل على المستوى المجتمعي العام. حيث أصبح العمل خارج البيت مسألة محورية وقضية أساسية بالنسبة للفتاة في المجتمع اليوم، وأحد العناصر الضرورية لتحقيق الاستقلالية وبناء ذاتها كامرأة فاعلة، وكذات مستقلة عن التبعية للرجل في المجتمع الحديث.

3.7. مشروع الزواج: بين تمثلات الشريك والتقاليد المحلية:

تمتاز منطقة أدرار بطابعها العمراني التقليدي القائم على وحدات سكنية متراسة ومتلاحمة مشكلة بذلك ما يسمى بـ "القصر" الذي يعني مجموعة من الأفراد المجتمعة وعائلات كبيرة يجمعهم نظام قبلي واجتماعي وثقافي خاص بهم، هدفهم المصلحة الواحدة.

وقد أثرت إلى زمن قريب نوعا ما طبيعة الحيز الجغرافي للمجتمع "التواتي القصورى" على شبكة العلاقات وأسس اختيار الشريك، حيث صرحت المبحوثات أن الاختيار كان يتم على أساس القرابة، العرق، والانتماء القبلي (العربي، المرابطي، الشرفي، الزناتي، الحرطاني العبد)، لكن حصول الفتاة الشابة على تكوين جامعي واكتسابها قيم ثقافية حديثة، غيرت من شروط أسس اختيار شريك الحياة، حيث أصبحت تقوم على أساس الرضا، الدين، التخلق والعمل، كما يلاحظ أن الطالبة الأدرارية لا تهتم بمسألة التعرف على الطرف الآخر والبحث في نقاط التوافق الشخصي والفكري، فرأي الأب أو الأخ قد ينوب في اختياراتها لشريك الحياة.

4.7. الرابط الاجتماعي من منظور أنثوي:

من خلال الدراسة الميدانية، كل المبحوثات صرحن أن طبيعة الرابط الاجتماعي الأسري شهد تحولاً ملموساً، وذلك بفعل ترسخ قيم جديدة كلغة الحوار والنقاش بين الزوجين والأولاد داخل الأسرة، إلى جانب التغير الطارئ في مورفولوجيا الأسر من الأسرة الكبيرة والمتلاحمة إلى الأسرة النووية. وتحدثت غالبيةهن عن الفوارق الاجتماعية المتفشية في المجتمع الأدري، ومحاولتهن التخلص منها من خلال تبني قيم جديدة ومغايرة لقيم آبائهن، فبالنسبة لهن لا فرق بين زناتي، حرطاني أو شريف... إلخ، وعليه نستطيع القول أن أدوار الزوجين والأبناء، والزواج، الطلاق، وضعية المرأة، القرابة والميراث، تعد كلها دلائل على إبراز الواقع الجديد للأسرة الجزائرية المتغيرة، كلها خصائص أسرية عبرت عن الانتماء الثنائي للثقافتين: تواصل تأثير الثقافة التقليدية إلى جانب تأثير مستمر وعميق في مقابل ما تفرضه طبيعة المرحلة المجتمعية الحديثة. (حرات، 2013، ص.54)، خلق هذا التغيير على مستوى المسار الاجتماعي والثقافي للعائلة عدة إشكاليات، لعل أهمها: كيف يمكن للعائلة ذات النمط المحلي أن تعيش حاضرها بعاداتها وتقاليدها الموروثة من الزمن الماضي؟

إضافة لانحسار العائلة الممتدة في منطقة أدرار وتحولها تقريباً لأسرة نووية بفعل توسع النسيج العمراني بنمطه الحديث على حساب القصور التي كانت تقطنها عائلات ممتدة لعشرات السنين، مما ألغى الكثير من قيم العائلات القصورية وتحولها من التضامن الآلي إلى التضامن العضوي وبروز قيمة الفردانية بشكل نسبي طفيف ورغم عدم تفشي هذه الفردانية إلا أنها أثرت على النموذج التقليدي وأدت به إلى الانكماش على مستوى عدة معايير وتراجع معايير أخرى مما حوله لنموذج تقليدي بوجه جديد.

لقد تفتن علماء الأنثروبولوجيا، وعلماء النفس وكذا علماء الاجتماع إلى ذلك الرباط الروحي الذي يربط حركية العائلة بعاداتها وتقاليدها على مر الزمن والذي قد يشكل المخبأ الدائم يعود إليه الفرد عند كل أزمة أو كبوة ليجد فيه الأمن والاطمئنان حماية لذاته ولهويته الثقافية والاجتماعية كما ترجم هذا المسعى نمط "تفكير وفلسفة شعبية وتدابير مادية ومعنوية من أجل محافظة متطلبات الحياة وظلت العائلة المحلية محافظة على عاداتها وتقاليدها تحياها وتعيشها بدون هوادة ولا انقطاع. هذا ما قد يسجل من حين إلى آخر من عادات وتقاليدها الجديدة في الفضاء المحلي الذي يصاحبه في بعض الأحيان صراعات نفسية واجتماعية وثقافية عنيفة، هذه النقلة العائلية من

نمط إلى آخر أصابت الذات العائلية في عمق كيائها وفي جسدها الاجتماعي والثقافي حيث زلزلت بينيتها الداخلية المنبثقة من صراع الأجيال بين الفرد والعائلة الناتج عنها ظاهرة الازدواجية الثقافية والاجتماعية في بعض الممارسات المنسقة من العادات والتقاليد المحلية والتقاليد الدخيلة المستحدثة" (سعيد، 1998، ص.ص.44،45).

5.7. استشراف الطالبة الجامعية الأدراية لمشاريع حياتها المستقبلية:

تسعى أغلب المبحوثات إلى إتمام الدراسة الجامعية قصد والحصول على شهادة عليا للتمكن من الالتحاق بعالم العمل وتحقيق مكانة اجتماعية مغايرة لتلك التي كانت تحتلها الطالبة الأدراية وتفادي تدني المستوى الدراسي، الزواج في سن مبكرة، عدم المطالبة بحقوقها، تغييب دورها داخل الأسرة إلى جانب ذلك تسعى إلى تفعيل دورها كمواطنة من خلال الانضمام للجمعيات النسوية التي تنادي بحقوق المرأة وروح التكافل بهدف المحافظة على الإرث الثقافي والتقليدي للمنطقة (قصور الولاية) في إطار رغبة رفع مستوى وعيها الاجتماعي والثقافي. وفي الأخير تعبيرهن عن الرغبة في تكوين أسرة مستقرة.

خاتمة:

من خلال الدراسة الميدانية الوصفية التي قمنا بها مع طالبات المجتمع الأدراي لمناقشة وفهم مختلف التصورات والتمثيلات الاجتماعية لهن انطلاقا من ثلاث محددات يرفضها المجتمع التقليدي على الأقل نسبيا والتي لها صدى وإبعاد اجتماعية.

خلصنا حسب العينة المبحوثة أن واقع الطالبات في إطار النموذج التقليدي بمنطقة أدرار لا يزال متأثرا بخصوصيات هذا النموذج، خاضعا لقيمه ومعاييره وأعرافه، فهي أقل تحررا سواء على المستوى الاجتماعي أو الاقتصادي (المهني بالدرجة الأولى). بالرغم من مختلف التحديات التي تواجه هذه الطالبات لكن نجد محاولتهن الحثيثة والمستمرة لاكتساب هوية اجتماعية وثقافية تناسب طبيعة المرحلة الحالية من خلال إبراز دور التعليم الجامعي الذي ينادي به منطوق الواقع عبر الاستماع لمعطيات المبحوثات برغبتهن في تحقيق ذاتهن في الولوج لسوق العمل.

على ضوء المعطيات البحثية نحاول إدراج بعض الاقتراحات التي تفيد مجال البحث العلمي:

- تثمين قيمة الطالبة الإدارية من خلال تفعيل مشاركتها الاقتصادية والثقافية لتنمية محيطها الصحراوي.
- العمل على تعزيز الهوية الثقافية للطالبة الإدارية من خلال الاعتراف بمكانتها وقيمتها في المجتمع وتمكينها من ولوج الوسط المهني بتوفير فرص الشغل التي تساعد على تحقيق مكانتها الاجتماعية والتخفيف من السيطرة التقليدية الذكورية.
- العمل على تطوير صورة الطالبة الإدارية من خلال تشجيعها على الارتقاء الفكري والمهني الذي يجعلها عنصرا مساهما في إبراز الصورة الملائمة للمرأة المثقفة والعاملة وربة البيت في المجتمع الصحراوي.
- تثمين دور الطالبة الإدارية من خلال تشجيعها على الارتقاء في السلم الاجتماعي.

قائمة المصادر والمراجع:

1. هنشيري، إيمان. (2017). الموروث الثقافي الجزائري الواقع والآفاق. مجلة حوليات التراث، 17(17)، 97-110؛
2. بورديو، بيار. (2009). الهيمنة الذكورية، (سلمان قعفراني، ماهر تريمش، ترجمة). المنظمة العربية للترجمة؛
3. أبليلة، سميرة، وحمودي، فتيحة. (2018). صورة المرأة الصحراوية في رواية وادي حناء لجملة طليباوي [رسالة ماستر غير منشورة]. جامعة أدرار، الجزائر؛
4. قاسمي، سمير ومشري، راضية. (2021)، حاضر التشغيل عند الشباب خريجي الجامعات الحدد في سوق العمل الجزائري - مقارنة سوسيولوجية - مجلة دراسات في علم اجتماع المنظمات، 09(02)، 88-105؛
5. مناد، سميرة. (2013). صورة المرأة الجزائرية في المخيال الاجتماعي. مجلة الحوار الثقافي، 2(02)، 111-115؛
6. مصباح، عامر. (2005). علم الاجتماع الرواد والنظريات. دار الأمة؛
7. مجادبة، عبد المالك. (2017). التعليم الجامعي في الجزائر بين رهان الجودة وواقع تكنولوجيا المعلومات والاتصال. الساوردة للدراسات الانسانية والاجتماعية، (6)، 296-311؛
8. دراس، عمر. (2021). الإدماج المهني: مقاربات نظرية ونقدية، مؤلف جماعي: حاملو الشهادات الجامعية والشغل - مقاربات حول الإدماج المهني في الجزائر وتونس. منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية؛
9. حراث، فتيحة. (2013). القيم الأسرية بين الثقافة التقليدية والثقافة العصرية، العائلة (الممارسات والرهانات الاجتماعية). مجلة انسانيات، (59)، 53-73؛

10. قشار، محمد. (2017). مفهوم ومكانة العمل في المجتمع، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، 10(2): 1132-1154.
11. سعيدي، محمد. (1998). العائلة، عاداتها وتقاليدها بين الماضي والحاضر: الظاهرة الاحتفالية بالأعياد، العائلات بين الماضي والحاضر. مجلة إنسانيات، (4.ع) 41-49.
12. مولاي، محمد. (2019). ظاهرة التحضر في القصور وتأثيرها على شكل العلاقات الاجتماعية [رسالة دكتوراه غير منشورة]. جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر؛
13. منظمة العمل الدولية. (2014). تفتيش العمل والمساواة بين الجنسين وعدم التمييز في الدول العربية. لبنان، على الرابط: https://www.ilo.org/beirut/publications/WCMS_250182/lang--ar/index.htm
14. Benghabrite-Remaoun, Noria, et .al. (2010). *Situation de la femme dans la Daïra de Charouine-wilaya D'Adrar*. Les cahiers du Crasc.